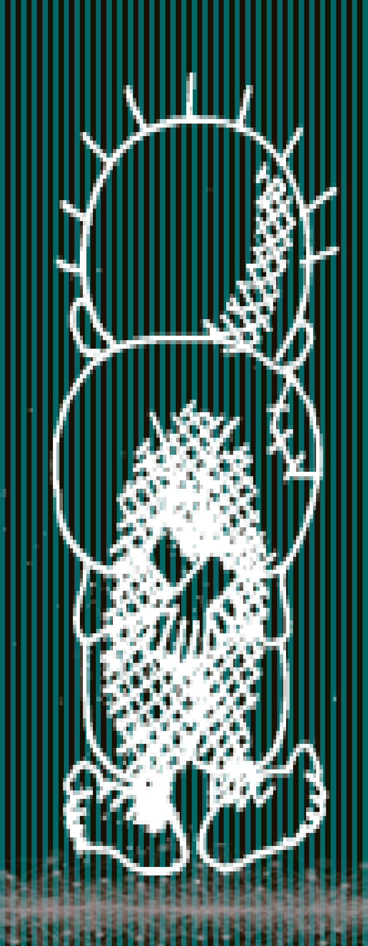


حوار مع ثلة من المثقفين العرب



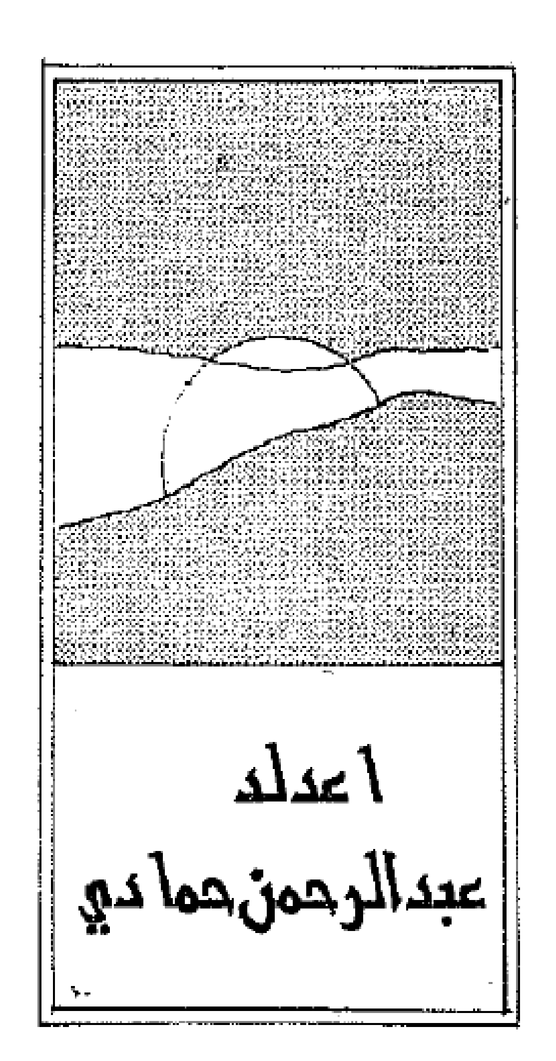
ميشيل سليمان
نصري الصايغ
محمد علي شمس الدين
محمد علي فرحات
عادل فاخوري

أمينة حمدان
سامي رفاعي
كلثوم عرابي
عبد الأمير عبد الله
فوزي عطوي



منشورات 1986 الطليعة





ازمــة الثقافة العربية المعاصــــــرة

بيروت 1981

هل صحيح أن الثقافة العربية المعاصرة
تعيش في أزمـــة ؟

هذا هو السؤال :

قد يكون طرح هذا السؤال بحد" ذاته ، اعادة له بصيغة اخرى عن الصيغ التي طرحتها فئات الثقافة هنا وهناك ، ولكن مع كثرة ما طرح هذا السؤال بقيت الاجابة عليه تنتظر جوابا .

وفي الركود الثقافي الـذي عاشته بيروت مؤخرا بسبب الاحداث المفاجئة ، كانت فرصة لاستقراء آراء عدد من الادباء والكتاب والشعراء المتواجدين فيها حول حقيقة الازمة ، ولن يدعي هذا الملف أنه استطاع تحريك دولاب الثقافة مجددا هنا ، فتلك حقيقة ، اذ إنه اثار نقاشات وحوارات في المنتديات الادبية والثقافية ، لاتزال للآن .

كانت الآراء كثيرة ، فهناك من اصر على وجود هذه الازمة في كافة جوانب حياتنا المعاصرة الثقافيـة ، في السينما .. في المسرح .. في القصة .. في الشعر .. الخ ، واكد على استفحالها في حياتنا المعاصرة .

وهناك من رفض هذه المقولة ، وأعلن أن الثقافة العربية المعاصرة في خير ، وبأحسـن حالاتها .

وآخرون أقروا بوجود هذه الازمة ، واعلنوا أن الثقافة العربيـة المعاصرة في حاجة لهذه الازمة كي تتطور .

وفيمـا يلي حصيلة تلك الحوارات كما صاغها اصحابها ، وحول سؤالين همـا :

- ١ ــ هل تعتقد بوجود أزمة في الثقافة العربية المعاصرة ، ولماذا ؟
- ٢ ــ في حال وجود أزمة ، كيف يمكن الخروج منها ؟ !

المشاركون

- د. ميشال سليمان	شاعر
- نصري الصايغ	رئيس تحرير مجلة فكر
- محمد علي شمس الدين	شاعر
- محمد علي فرحات	شاعر
- د. عادل فاخوري	شاعر
- أمية حمدان	روائية
- سامي رفاعي	فنان تشكيلي
- فوزي عطوي	شاعر
- كلثوم عرابي	شاعرة
- عوض شعبان	روائي
- عبد الأمير عبد الله	ناقد

د. ميشال سليمان
شاعر

■ غرست في حديقتي منذ الصغر غرسة تفاح ، ورحت أتعهدها بما أوتيت من معرفة بأصول الزراعة ، فكنت اسقيها في أيام القيظ ، واداريها في الشتاء العاصف ، واكشح عنها الدويبات السامة في كل الفصول ، واشذبها حين تجن منها الغصون ، وتبسق ، فتصبح موئلا للورق الآخذ من الزهر قدرته على الاثمار .

وشد ما كانت دهشتي كبيرة حين كنت أرى على مدار السنة ، أن الفصول تتزين في شجرتي ، حتى خيّل اليّ أن اغصانها بما هي وثيقة العلاقة بالجذور ، تأنس لهبوب الرياح ، تمرّن عضلاتها اللدنة لتصبح زاخرة بالخضرة المتألقة وقت العطاء ، مستحيلة قناديل حمراء ، غلفت بغلالات من ندى اتشح بضباب مغبار ، مخافة ان تتأذى العيون الناظرة اليها من عجب ومن موجدة على السواء .

وكان من جراء هذا كله انها بمقدار ما كانت تضرب جذورها في التربة المعطاء ، كان ثمرها الكانز بالحلاوة واللون البهي ، يستجلب العصافير كما يستجلب الفتيان على نداء البواكير ، فيكبر اعجابي ، وتطمئن روحي على أن جهودي المبذولة بسخاء لا يخشى النقاد ، لم تذهب عبثا .

كانت شجرتي تكبر ، ومعرفتي بمعالجتها وتعهدها تزداد ، حتى أصبحت بالممارسة قادرا على المفاخرة بها ، والمفاخرة بي ، كوني اصبحت في شؤون التفاح والشجر المثمر على خبرة العارفين .

انني حين انظر الى شؤون الثقافة العربية وشجونها ، تحضرني قصة شجرة التفاح هذه ، فثمة واقع ثقافي نشأ بالضرورة في واقع اجتماعي عبر مراحل تاريخية معينة ، وهو من هذا الواقع يكنز كنزه ، كما أنه يعاب بالجدب حين يطفو على السطح دون ان يقيم مع القاعدة عملية التفاعل الجدلي المتبادل بينهما .

فالثقافة العربيـــة ، ككل ثقافة ، انما هي مجمل النشاط الفكري والفني ، الذي يخلفه الشعب لمصلحته ، وللتعبير عن مبدأ العطاء في ذات روحه، فتغنى وتتطور، وتكون لها بالتالي القدرة على التوكيد والاستمرار، وعبر استجابتها للدواعي المادية والروحية التي تشكل تفتح الشعب على يد مبدعيه ، من شعراء وادباء ومفكرين وفنانين ومخترعين .

والثقافة الى هذا ، طموح الى ماهو أبعد شأوا في الحياة العامـة والخاصة ، حتى لتكاد تكون المثال الذي تطمح اليه النفوس والابصار ، ولا تدركه سوى البصائر ، ويبقى السعي في بنائه واعلائه مداميك تتراكم لكي تصبح عمارات في حياة الشعب ، دائمة الطموح الى الكمال ، والا انتفت عنها سمة كونها ظاهرة اجتماعية ، تكتنز بالمعرفة ، وتكبر بالجهود والعطاءات الفنية والفكرية الثرّة في مقالع الواقع .

لقد اتسمت الثقافة العربية منذ مطلع هذا القرن ، بطابع النهوض الى التحرر والتقدم الاجتماعي والفكري والفني ، فكانت بالنظر لمنطلقاتها الاجتماعية ، تعبيرا عن محاولات لمعرفة المجتمعات العربية ، وما فيها من عوامل تتعامل وتتصارع فيما بينها ، ضمن شروط المرحلة ومتطلبات تحويلها ، ولهذا كانت ثمة تيارات ثقافية متعددة متباينة ، متضارية في أحيان كثيرة ، تعبر عن الجماعات التي تشكل شرائح كل هذه المجتمعات، وتجد لهـا أيضا وجوها تناحرية ، عبر ما تندرج فيه من عوامل وبنى سلطوية .

اخلص من هذا الى القول بأن الثقافة العربية الراهنة ، انما هي حصيلة انتاج مراحل واجيال ، فيها من الاصالة ما فيها من الضحالة ، اما الضحالة فقد اسقطناها من البحث ، وأما الاصالة ، وهي التي تعنينا فهي من ناحية مأزومة ، ومن ناحية أخرى تعاني من سوء الهضم ، الا أنها في الحالتين غير مشرفة على ما يدفعنا الى توزيع نواعيها ، كما يطيب لكثيرين .

■ ■ ■

■ لقد حضرتني قصة شجرة التفاح ،وأنا بسبيل القول على أزمة الثقافة العربية الراهنة ، ولهذا أيضا أقول بأن التعهد المسؤول هو واجب ما يملي علينا اليوم من واجبات ، والاحاطة بها ، لكي تستطيع ان تتجاوب وتتجاوز :

ـ أن تتجاوب مع الواقع ، من اجل فهمه علميا وموضوعيا ، من خلال ادراك شروطه وعوامله .

ـ وان تتجاوز ، بمعنى أن تعد في حاضرها الماثل مستقبلها الذي من خلال ممارسته الحرية والديمقراطية، يستطيع ان يتصل اتصالا وثيقا بركب التقدم الحضاري .

نصري الصايغ

رئيس تحرير مجلة فكر

■ اود ان أسأل أولا : لماذا يكثر استعمال كلمة ازمة ؟ فكثيرا ما نجد في بعض الدراسات هذه الكلمة ، حتى باتت تأخذ مشروعيتها من خلال الاكثار من تردادها ، فمرة نطالع (أزمة القصيدة الحديثة) ومرة أخرى (أزمة الشعر الحديث) ومرة (أزمة القصة القصيرة .. ازمة الرواية .) الخ ! !

انه من المنطقي ان تكون هناك أسباب لهذا الاستعمال الشرس لمثل هذه اللفظة ، ويرى بعض النقاد أن استعمال هذه اللفظة أو ما يشبهها يعود الى عجز القصيدة ، او في كثير من الاحيان الى مجرد افتعال صحفي، ولعل الدليل علي هذا الامر يكمن في تاريخ النقد العربي منذ أواخر القرن

التاسع عشر ، حيث بدات تظهر كتابات يتكلم فيها مؤلفوها عن ازمة الرواية ، وقد ازدادت هذه الموجة في مرحلة مابين الحربين ، فما بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٨ ، كتب (رونيه بويلسف) مجموعة من المقالات المعجعة ، جمعها تحت عنوان « الرواية في خطر » ، ثم يكتب (ادوار استوينيه) : هل الرواية في خطر ؟

وكذلك يفعل (اندريه تيريف) في كتابه (الرواية في أزمة) ، ثم تنهال الدراسات الاكاديمية حاملة للعناوين التالية : أزمة الرواية ــ الرواية تموت ــ نهاية الرواية ...

في غمرة هذا الصخب لآفاق الرواية ، ظهرت مجموعة من الروايات من الرواية الاجتماعية مع بلزاك ، الى الرواية الواقعية مع فلوبير .. الخ.

وفي أوج ازمة النقد ، ظهرت روايات اندريه جيد ، وباريس ، وجورج برنانوس ، ثم تلتها كتابات بريتون ، واراجون ، وكوكتو ، فسجلوا في الرواية السوريالية أبعادا جديدة، وكتب « مالرو» الرواية السيكولوجية، وكتب كافكا وسارتر وكامو الرواية الوجودية .

والآن ، هل الثقافة العربيةالمعاصرة في ازمة ؟

انطلاقا مما تقدم ، لا أرى ان الثقافة العربية في ازمة ، واسارع فأقول انها ليست في صحة جيدة ، ربما تكون حالتها سيئة في ظل الظروف التي نعيشها ، ولكنها ليست في ازمة .

انها في ازمة عندما تكون أمام خيارات معظمها الزامية ، او امام الزامات تبررها اختياريا ، انها في ازمة عندما نستشف ان المرحلة التي نعيشها تحتم عليها الركود أو التراجع ، او خيانة ذاتها ، أو الموت ، والثقافة العربية ليست امام هذه المصائر ، فما زال أمامها الكثير مما تبنيه ، وما زال امامها الكثير من الآفاق ، فالحاضر العربي مازال يحتمل

الكثير . ثم اذا نظرنا الى الثقافةالعربية منذ أواسط القرن التاسع عشر ، ودرسنا نموها ومراحل تطورها على الاثر الذي خلفته هذه الثقافة الثرية والغنية على الواقع التربوي والاجتماعي والسياسي ، وخاصة على تكوين وعي متميز لدى الكثير من طبقات الشعب ، ولا يستطيع احد أن ينكر ما قدمته هذه الثقافة المتعاقبة منذ بطرس البستاني حتى يومنا هذا .

ان الثقافة العربية ليست في ازمة ، انها أمام مسؤوليات كبيرة ، ولا يطلب منها اكثر من ذلك . . لاتجلدوا الثقافة بالسياسة ، فكلما وصلنا الى مرحلة الاختناق السياسي شتمنا الثقافة ، وشتمنا المسرح والشعر واللغــة .

لست في معرض الدفاع عن الثقافة العربية المعاصرة ، بل أنا فيمعرض وضعها في حيزها الطبيعي ، لا تطلبوا منها شهودا أكثر مما شهدت ، ولا تطلبوا راسها الذي يبدو وسط زحام السقوط هذا ، انه الوحيد القادر على الاستمرار مرتفعا بكثير من التواضع ، ولكن هل الثقافة العربية المعاصرة كلها على هذه السوية من المسؤولية ؟

هل الثقافة هذه لم ترتكب اثما أو آثاما بحق مثلنا وقيمنا وتقدمنا ؟

لقد حملت الثقافة العربية خلال عصورها المتأخرة الكثير من عناصر التأخر ، فهي لم تولد ناصعة ، لقد تفولذت فيالحركةالثقافية والحضارية والتاريخية التي خاضتها في أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى امتداد ٧٠ عاما من هذا القرن ، ان عوامل التأخر والرجعية ، وسمات التخلف بارزة في أوجه كثيرة من ثقافتنا العربية ، ولكن هذه العوامل وهــذه السمات لم تقف مرة حائلا أمام استمرار الثقافة الاصيلة في أداء مهمتها .

لقد اعتدنا في وضعية السقوط السياسي ان نرفع اصبع الاتهام الى كل البنى القائمة في المجتمع ، ومن بينها الثقافة ، فهل هي براء من هذا السقوط ؟ هل ساهمت بهذا السقوط ؟ ! ان الدليل بعيد جـدا ،

فكل ما فعلته الثقافة العربية خلال مسيرتها أنها كانت احتجاجا ، كانت دفعا الى الامام ، انها كانت غير متلائمة مع وضعية المعرفة السائدة ، والسلطة السائدة على ذات السوية ، فقد عاشت منذ البداية بين حدّي المعرفة السائدة والسلطة السائدة ، ولعل ما تعيشه الثقافة العربية اليوم واقع في هذا الباب ، لافي سواه ، فالمعرفة السائدة هي المعرفة المتوائمة مع السلطة ، والثقافة الثورية كانت دائما على تناقض مع هاتين الوضعيتين ، ان على مستوى الذهنية ، او على مستوى الممارسة السياسية .

الثقافة العربية الثورية ، والتي قصدتها بهذا القول ليست في أزمة، انها أمام مسؤولية جديدة .

■ ■ ■

ليسمح لي أن لا اجيب على السؤال الثاني ، الا من زاوية اتمام اضاءة الاجابة الاولى . أمام الثقافة العربية مجموعة من الاحباطات السياسية والاجتماعية ، ومجموعة من المشاريع الانهزامية ، على الصعيد القومي ، يضاف الى ذلك أنها أمام أخطر محاولة لتزوير هويتها ، فباسم الحداثة كثيرا ما يغتالون الاصالة ، ويقعون في التعريب ، وباسم الاصالة كثيرا ما يغتالون الانفتاح ، ويقعون في الشوفينية ! ! المطلوب من الثقافة العربية أن تشق طريقها من خلال قراءة تاريخها الحديث ، لترى مدى مواءمته مع سير التاريخ ، ولترىمدى مساهمتها في دفع عجلة التاريخ ، أكان ذلك على صعيد الوعي ، أم على صعيد الممارسة ، وهي في صراعها هذا تكون قد ساهمت في تجذرها ، لتبني أصالتها على دعامتين اساسيتين، أولاهما الاستقلالية ، وثانيتهما الحداثة ، فمعيار الاصالة الاستقلالية والحداثة ، ولهذين الشرطين تكون الاصالة مشروعة ، لاتقع في سلفية ، ولا تغرق في شوفينية .

وأمام الثقافة العربية ايضا محاولة مصادرة ، فالسلطة السياسية دابها في كل مرّة ان تطوع الثقافة لخدمتها .

ان الرسم البياني للثقافة العربية هو خط صاعد اذا قسناها من خلال علاقتها بالسلطة ، لقد كانت في كثير من الاحيان صوتا ضد سوط السلطة ، لقد صاغت طريقها من خلال صراعها مع السلطة ، وكي لاتقع الثقافة العربية في الكمائن الكثيرة التي تصطنعها السلطة في وجهها ، عليها أن تؤكد أن الاصالة التي تقوم على دعامتي الاستقلالية والحداثة ، تمني أولا الطلاق مع بنى الانظمة الموروثة والسلفية ، والاغترابية الشوفينية ، عليها أن تطلق هذه البنى ، على أن يتم زواجها الكاثوليكي مع الحرية ، فبالحرية تبقى ، وبالحرية تخط الثقافة تاريخ العرب الآتي، وبالحرية ترسم وجه العرب الجميل .

محمد علي شمس الدين

شاعر

■ لنعترف أولا بضرورة الازمة في كل عمل جديد ، اقتصاديا أو اجتماعيا أو علميا او ثقافيا فنيا ، فالآلة لم تكن امتدادا للاصابع لو لم تعاني الاصابع من حاجتها الى ما يكملها ، والطائرة لم تكن امتدادا لجناح الانسان ، لو لم يشعر هذا الجناح بحاجة الى الطيران ، والقطار لم يكن امتدادا لقدميه لو لم يحرك هذين القدمين شوق للمسافات الطويلة .

الازمة أم الابتكار ، انها مؤشر الارباك وحافز تجاوزه معا ، لذلك فالجسم الطبيعي هو جسم الازمة .

أزمة الثقافة العربية المعاصرة ؟ ! وكيف لايكون للثقافة العربية المعاصرة أزمة ؟ وأية ثقافة في العالم بريئة من الازمة ؟

اليس للفكر البرجوازي أزمته ؟ !

اليس للفكر القومي ازمته أيضا ؟ !

اتحتل أن الجواب على هذا السؤال يحتاج الى بحث مفصل ومعزز بالدراسات والمراجع ، ولكن ذلك لن يعفينا من ابداء ما بدانا من ملاحظات نستكملها بالتالي :

ـ أولا : لا فاصل على أرض الواقع بين الثقافة والسياسة والاقتصاد والاجتماع، فالاجتماع البشري يصهر هذه الموضوعات في البنية الاجتماعية الواحدة ، ويداخلها في بعضها حتى تصبح جسما شديد التناغم محكم التوازن ، اشبه ما يكون بالجسم الطبيعي ، وهي كائن معنوي ، او كما قال ابن خلدون : « اذا أصاب عضو من الاعضاء خلل أو عارض ، تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى » لذلك فالكلام على الثقافة في البنية الاجتماعية ، انما هو كلام تخييلي افتراضي لابد لوضعه في صحته من ربطه بسائر مكونات الكيان الاجتماعي ، مكانيا وزمانيا وتاريخيا وبنيويا ، فالثقافي في المجتمع يبقى رغم تميزه قسما مما سماه الماركسيون البناء الفوقي ، ويبقى مشروطا بشروط البنى التحتية ، ومن نافل القول التوكيد على جدلية العلاقة ، ونعني آليتها وميكانيكيتها .

ثانيا : مادام الترابط في البنية الاجتماعية هو بهذه المتانة والتناغم ، فلا يستقيم القول على أزمة في الثقافة ما لم يرتبط بأزمة في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والسلوك والخلقية ايضا ، وبالتالي فالازمة تكون (مفردا بصيغة الجمع) مع الاعتذار من ادونيس .

ثالثا : حتى في هذا المجال يقتضي الايغال في التفصيل ، فان تعبير « الثقافة العربية المعاصرة » هو تعبير عمومي ، لاني اعتقد ان ثمة ثقافات عربية معاصرة ، لا ثقافة واحدة ، فهناك ثقافة السلطة السائدة ، وهي كما تعلم ثقافة البرجوازية العربية السائدة على مختلف تشكيلاتها وامتداداتها الاقليمية والقومية ، وهناك الثقافات الشعبية الريفية والمدنية والصناعية ، ضمن حدود محدودة ، وهناك ايضا من خلال هذا

التقسيم الاجمالي ، تفاصيل يمكن لحظها ، هذه التفاصيل قد تكون اكثر أهمية من الخطوط الكبرى ، ولكننا سنأتي على ذكرها حين نشخص بعض سمات الازمات .

ان ما يشوب الثقافة العربية السائدة هو مايلي :

١ ـ التجزيئية : ومن مظاهرها ذاك التمزق الذي يفتت الوطن العربي ، ويجعل الاقليمية شكلا من اشكال هذا التفتت ، يستتبع هذه التجزيئية عدم وجود رؤيا موحدة تربوية وتثقيفية لسؤال من هو الانسان العربي الذي نريد ؟ يتسلل الى هذا التجزيء الاقليمي دعوات ظاهرها ثقافي وباطنها سياسي ، ابرزها واخطرها الدعوات الى اعتماد العاميات المحلية بديلا للغة العربية الام ـ الموحدة ، فالدعوة الى الحرف اللاتيني في لبنان ، والدعوة الى الآشورية في العراق ، والدعوة الى الفرعونية في مصر ،... الخ ، تشكل بعض مظاهر ازمة التجزيئية في الثقافة العربية المعاصرة .

٢ ـ الخرافة : فالثقافة العربية بمستوييها : السائد البرجوازي والشعبي ، هي ثقافة خرافة تميل الى الاعجاز اكثر من ميلها الى العلم ، وتميل الى الدين فيما هو تسليمي او استسلامي اكثر من ميلها الى المنحى التحريري والتحريكي في بعض الدعوات الدينية .

ان البرجوازية العربية تشيع هذا النمط من التفكير الخرافي ، وتساعد على بثه ، وذلك بهدف اضعاف الفكر العلمي لدى الطبقات الشعبية ، فيسهل تخويرها والسيطرة عليها ، ولو أخذنا على سبيل المثال بعض الظواهر التي تدعو للتأمل ، لوجدنا مصداقا على افتراضنا ، ففي حرب تشرين ١٩٧٣ مثلا ، طلعت علينا مجلة « الهلال » المصرية في أحد أعدادها مفسرة هذا النصر العسكري تفسيرا خرافيا ، بأن جملة أسباب النصر تعود الى قراءة بعض التعازيم والتمائم ، وبمساعدة ملائكة وجنود نورانيين من الله ، بحيث أصبح المقاتل الفعلي مجرد آلة تحركها

قوة خرافية فوقية ، وفي مقدمة هذا العدد التي كتبها المغفور له صالح جودت يقول أنه سأل بعض الجنود المقاتلين ، فرووا له ان الجنود الاسرائيليين كانوا يطلقون عليهم الرصاص فيصيبهم ، ولكن الرصاص لا يخترقهم ، وفي المتحف الذي أقيم لاسلاب الحرب في القاهرة ، كان حطام كل دبابة تعلوه آية (وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى) !!

هذا الوجه من الفكر الخرافي تشيعه السلطة ، وهو أصلا معشش في الاحياء الشعبية ، وفي أذهان الجماهير البسيطة ذات الرؤية التسليمية .. يروي احمد أمين في كتابه المعروف (زعماء الاصلاح في العالم الاسلامي) أن في مصر نعلا لأحد الاولياء هو « الكلشنة » ، ويسميها (نعل الكلشنة) ، تعتقد الفئات الشعبية بأن من يشرب من هذه النعل يبرأ من المرض ، أو يستجلب محبوبه الآبق ، وان في السعودية شجرة شبيهة بذات الأنواط ، اذا علق تحتها أثر من المحبوب يعود ، وأنهم في ليبيا قبل السنوسية ، ورغبة في ابتزاز الحجيج ، كان معرّفهم يأخذ البدل ولا يذهب بهم الى الحجاز ، وذلك بأن يقدم لهم الحجة التالية :

يأخذهم امام واد يدعى وادي سيوة ، ويقف أمام هذا الوادي وهم وراءه ويصرخ بأعلى صوته : ايْ وادي سيوة ، الحج هذا العام أم لا ؟ فيرجع الصدى : لا ــ لا ــ ، فيقول المعرف : هذا العام لا نحج ، سمعتم ما قال الوادي !!

بالطبع نستطيع أن نورد من كل قطر عربي آلاف الخرافات ، بحيث يصبح الفكر السائد بمستوييه الرسمي والشعبي فكرا خرافيا أسطوريا تبريريا ، موجها ضد العلم ، وبالتالي يساهم في تخدير الروح العربية ، ويمهد للنشوب عليها وترويضها .

٣ ــ الاستلاب : واعني بذلك ، أنها ــ أي الثقافة ــ لا تساعد الكائن البشري على التحرر من مجموعة الكوابيس والكوابح والسلاسل التي

تقيده ، وتعدد عبودياته ، بل تبرر هذه العبوديات وتزينها ، وتجعل الانسان معتادا عليها ، فالانسان العربي العادي هو كائن بغيره لا بنفسه ، ينفذ دون ان يقرر ، ورغم هذا يتحمل المسؤولية ، ونحن نعلم ان المسؤولية اصلا مربوطة بالحرية ، ولكن الانسان العربي مسؤول دون أن يكون حرا ، وهذا اكبر خلل في ميزان كيانه ، وانه اذن مستلب ومغترب عن نفسه وعن تراثه ، ومغترب عن اقرانه في المجتمع أيضا ، وليس سرا أن مجموعة الادوات المهيمنة في العالم العربي تساهم في هذا الاستلاب إن لم نقل أنها تخطط له .

هذا السائد في الثقافات العربية يحاول أن يهز ركائزه تغيير ينبع منه هو بالذات ، اي ان الأزمة تفرز نقيضها ، وهذا النقيض يتكون ويتخمر في باطن الطبقات الشعبية كما يتكون الزلزال في باطن الأرض ، إن انفجار البركان لا يعني انه تكون في لحظة الانفجار ، ان ثقافات الضد تتراكم جزءا فجزءا ، وتتولد من نقائضها ، فالتجزيئية تفرز التوحيدية ، والخرافة تفرز العلم او العلمانية ، والاستلاب يكسر القيود باتجاه الحرية ، وهكذا فالأزمة ضرورة لانها تفرز نقيضها .

* * *

□ الخروج من عنق هذه الزجاجة اذن يكون بتحطيمها ، تحطيمها بفكر ثوري شامل ومخطط يأخذ الثقافة عمقا ، والمجتمع في طبقاته ذات المصلحة أداة وغاية .

الثورة تكون شاملة او لا تكون .. لا بد اذن من طوفان .

محمد علي فرحات

شاعر

□ هذا واضح ، إن ثقافتنا في أزمة ، وربما كانت هذه الأزمة كامنة في الثقافة العربية خلال القرون الوسطى ، ولكنها ظهرت للعيان في حالة الاشكال الملن مع صدمة الشرق بالحضارة الاوروبية في أخريات القرن الماضي .

منذ السجالات الاولى في ما يسمى بعصر النهضة ، والمشكلة مطروحة، ولقد كان المثقفون يتهربون منها في بعض الآونات من تاريخنا الحديث ، حيث كان يطفى تيار ثقافي ، فيظن اتباعه أن التيارات الاخرى قد دفنت الى غير رجعة ، ولكن بعض هذه التيارات يرجع الى الصدارة في مرحلة لاحقة . . وهكذا أمضى المثقفون العرب المعاصرون فترة السنوات الثمانين التي مرت من القرن العشرين يمرون من مناخ الى آخـر ، وكل مناخ يظنونـه أبديـا ، ويأنسون الى طقوسه ، الى أن تدهمهم التغـيرات فيصـدمون وتتهافت طمأنينتهم .

إذن ، ما يشكو منه المثقفون هو الاتكاء على المرحلي واعتباره أبديا ، وقد تجلى ذلك في ثلاث زمر من الأزمات :

أ ـ عدم الالتفات كما ينبغي الى العرب كبشر ، والى البيئة العربية كمكان ، فمن منا يعرف جيدا ملامح الثقافة الشعبية (أتوجد ثقافة غير شعبية ؟) في البلاد العربية كي لا نقول أيضا في البلد العربي الذي يعيش فيه . . إن المثقفين العرب يكتبون الايديولوجيا المتناسلة في كتاباتهم جيلا بعد جيل ، بحيث انقطعت هذه الكتابات عن المكان والبشر ، وهي حين تتناول شأنا أو شيئا من الواقع ، فهي تدخله في قوالب الافكار الجاهزة سلفا . . الكاتب يهيء الفكرة ثم يبحث عن شواهد عليها في الواقع ، وكثيرا ما يحصل المفكرون المتناقضون على شواهد تدعم تناقضاتهم ، وبهذا التعامل يكون الواقع مادة مجهولة متنوعة ، يمكن أن تختار منها ما تريد ، ولكنك لا تستطيع لها تغييرا لأنك لا تعرفها .

ب ـ العلاقـة مع التراث لا تزال غير واضحـة ، ولم تحسمها التناقضات الجذرية بين السلفيين والرافضيين ، إن المفكر العربي يبدو على الاغلب ، والى الآن باحثا عن ذرائع اكثر منه تجريبيا مستقرئاً ، وحين تخيب الآمال بمنظومة فكرية معينة تجري عملية عودة سريعة الى منظومة أخرى ، كان يدور القول عليها انها مخيبة للآمال !!

وفي الخط العام لا تزال الثقافة العربية المعاصرة تخاطب حالة ثقافية عامة، هي استمرار قيمي للتاريخ البعيد ، ولذا فالثقافة العربية المعاصرة تتغرب أو تنضوي في تناقضات الثقافة التليدة .

وفي الخط العام لا تزال الثقافة العربية المعاصرة تخاطب حالة ثقافية عامة، هي استمرار قيمي للتاريخ البعيد ، ولذا فالثقافة العربية المعاصرة تتغرب أو تنضوي في تناقضات الثقافة التليدة .

ج ـ مأزق الحداثة يطال المؤسسات العربية في القرن العشرين على اختلاف أدوارها ، ذلك أن بنية هذه المؤسسات ليست نتاج التجربة المحلية ، وبالتالي فهي تتعامل مع المجتمع في قطاعاته الناشئة والعصرية (المدنية) ، ويكون ارتباطها بسائر القطاعات الاجتماعية هشا وغير مؤثر.

ولا نريد أن نتناول مأزق الحداثة في النتاج المكتوب ، والابداعي منه بخاصة ، فلقد لامس هذا الموضوع عديدا من الكتاب ، ولا مجال هنا للدخول في تفاصيله وخصائصه . إن أزمة الثقافة هي الدلالة على ازمة مجتمع ، ولن أعدد ما يشكو منه عرب اليوم ، فمواضع الشكوى اكثر من مواضع الارتياح .

* * *

□ كيف نخرج من الأزمة ؟!

نخرج منها بالدخول فيها ، بدءا بالاعتراف بها ، ومرورا بتقريب الثقافة الشعبية من ثقافة النخبة ، وبعدم الخوف من وجود آراء ثقافية متعارضة ، ذلك أن قيمة الثقافة العربية تكمن في احتضانها للمتنوع واغتنائها به .

نخرج منها بتلمس القواعد المشتركة للمحافظة على وجود الانسان العربي وحريته وحيويته في مواجهة اسرائيل ، ومراكز الاستقطاب الدولية .

نخرج منها بالمقدرة على تأمين حياة مدنية مبدعة في الوقت الذي ندافع عن وجودنا الذي يستهدفه الاعداء .

نخرج منها بتلمس القواعد المشتركة للمحافظة على وجود الانسان العربي وحريته وحيويته في مواجهة اسرائيل ، ومراكز الاستقطاب الدولية .

نخرج منها بالمقدرة على تأمين حياة مدنية مبدعة في الوقت الذي ندافع عن وجودنا الذي يستهدفه الأعداء .

نخرج منها بمحو الأمية .

نخرج منها بحرية الفكر والقول والاعتقاد .

نخرج منها عندما نعرف من نحن ، ومن هم مواطنونا ، وما مكانهم ، اي عندما يتحول العربي من بدوي الى حضري ، من عابر الى مقيم في المكان ، يقدس المكان وعراقته .

هل اجبت ؟

د. عادل فاخوري

شاعر

من الواضح فيما يخص الفئة الاولى من المعارف (أي الرياضيات والفيزياء والبيولوجيا والكيمياء) أن اللغة العربية ضعيفة التعبير عنها ، إذ أن تطور هـذه العلوم بشكل مضطرد هندسيا ، يتطلب مصطلحات جديدة ، واللغة العربية في تراكيبها لا تستطيع أن تجاري ، ليس فقط ما يخص الابتكار في هذه المجالات ، بل على الاقل صياغة هذه العلوم بلغة عربية سليمة .

نحن الآن في وضع شبيه بوضع أوروبا إبان النهضة الفكرية العربية ،

حيث كانت اللغة العربية هي لغة الحضارة ، وكل ما عداها هو على هامش التاريخ .

المعرفة تواضع ، واذا عرفنا أنفسنا فلا بد أن نقر أن ثقافتنا العربية (العلمية اولا) هي على هامش التاريخ .

أما فيما يخص العلوم المسماة بالانسانية (علم النفس وعلم الاجتماع والادب والفنون) فلا شك أن هناك انفصالا جذريا بين الواقع واللغة ، هل تعتقد انه بالامكان كتابة مسرح أو سينما أو حتى شعر أو قصة باللغة الفصحى القديمة ؟

إذن في العلوم الانسانية التي تخص الانسان مباشرة ، ما زلنا في اغتراب تاريخي ، اي اننا محكومون للتراث والسلف .

□ يجب أن نبدأ خطوة كما في السابق قامت النهضة الفكرية العربية :

١ ــ إقامة مؤسسات من قبل الحكومات العربية متجردة عن كل فكر سياسي مسبق ، تعمل أولا في ترجمة الروائع الانسانية الغربية الحديثة ، ترجمة دقيقة وعلمية .

٢ ــ تأسيس دوريات وحوليات تكتب باللغة الاجنبية والعربية ، لتوصيل الابحاث التي يقوم بها الاختصاصيون العرب .

٣ ــ اعادة طبع لأهم المؤلفات التراثية في مختلف المجالات ، مع تحقيق وتفسير معاصرين ، ومحاولة ترجمة بعض هذه المؤلفات للغات الاجنبية .

٤ ــ الاستفادة من التراث ومصطلحاته لتأدية العلوم الحديثة باللغة العربية .

لا شك ان هذه الاقتراحات تبدو سهلة ، ولكنها في الواقع تتطلب تغييرا جذريا في البنية العربية ، وفي السياسة العربية أيضا ، وبالتالي تغيير النظرة كليا الى المفاهيم الحضارية السائدة حاليا عند الذين يستلمون مقاليد الامور السياسية والفكرية .

امية حمدان
روائية

□ إن ازمة الثقافة قائمة في لبنان وفي سائر الاقطار العربية ، والسبب في ذلك يعود الى أن المواطن العربي لا يزال بعيدا الى حد ما عن فهم ماهية الثقافة وهدفها كممارسة يومية حياتية .

إن الثقافة لم تتحول بعد الى منهل يومي يشعر الانسان بضرورة الارتواء منه ، ذلك انها لا تزال كالسلع المعروضة يمتلكها من يدفع ثمنها غاليا ، فيبتاعها كما يبتاع الثوب ليرتديه في المناسبات الضرورية ، والمناسبات الاقل ضرورة ، وأعني بذلك أن الثقافة لم تمتزج بدم المواطن ، ولم تتحول الى سلوك يومي يصعب الخروج من دائرته .

ومن هنا نرى الأزمة الكامنة في الجو الثقافي ، حيث تبدو الثقافة وكأنها محصورة في دائرة ضيقة جدا ، بينما المفروض أن تكون مشاعا ، بل خبزا يوميا للجميع ..

اين المكتبات العامة المجانية التي يستطيع المواطن أن يدخلها وينهل من الثقافة ما يشاء ؟

اين الاندية الثقافية التي تحيل هـذه الثقافة الى سلوك يومي ، يعيشه الفرد بطبيعته ودونما تصنع ؟ ذلك أن عملية هضم الثقافة لا تتم الا بالمطالعة اليومية ، حيث تنعكس سلوكا يدفع بالانسان الى التكامل بشكل تربوي متدرج ، فلو قارنا بين المواطن العربي ، أو المواطن في دول العالم الثالث ، لرأينا أن الفرق كبير بينه وبين مواطن في بلد متقدم ، إذ أن الأخير يعيش مشكلته الثقافية ملتحمة بمشاكله اليومية الحياتية ، كما أن الثقافة مستمدة من جذوره الحضارية ، لذلك فانه لا يشعر بالغربة حيالها ، وهو بذلك على عكس الاول ، الذي نراه حيال الحالة الثقافية ، يدرك نوعا من الفوضوية الداخلية التي تؤدي به في كثير من الاحيان ، ودونما وعي منه ، الى نوع من الانفصام ، ذلك أن جذوره ليس لها استمرار في الحاضر والمستقبل الثقافي المسيطر .

* * *

□ إن أزمتنا الثقافية تكمن في عدم ربطنا ما بين الثقافة والحياة ، أي أن الثقافة لم تتحول بعد الى سلوك ، لذلك أرى أن الحل الوحيد يكمن في تخطيط تربوي يشمل المدرسة والبيت والشارع ، ويتحول الى ثورة ثقافية على مستوى الحياة .

سامي رفاعي

فنان تشكيلي

□ في ثقافتنا العربية المعاصرة الأزمة هي أزمة مثقفين وليست أزمة ثقافية ، فأنا دائما أبدا بالانسان وأنتهي اليه ، فهو عندي منبع الفكر ومنطلق الابداع ، والازمة عندنا أزمة انسان في تربيته وتنشئته ، وخلقه وأسلوب حياته .

اسمح لي أن أعود بك الى منطلقات كبرى في حضارتنا وثقافتنا ، فيوم أن خرج البدوي من صحراء العرب مسلحا بالايمان (المبدأ) ، والسيف ، كان يحمل في طياته العنصر الاهم في تسجيل النجاح وحمل الثقافة والحضارة ، آلا وهو المثابرة والجد ، أما اليوم ، فالأزمة عندنا كما قلت أزمة مثقفين لا أزمة ثقافة ؛ فالثقافة لغة عالمية شاملة تحتك الشعوب بواسطتها ، فيتميز من الناس بعضهم بالعبقرية والابداع والعطاء ، فتكون بعد ذلك ، ثقافة لشعوب أولئك العباقرة المبدعين ، فماذا يحدث عندنا ؟!

اذا راقبت الامر بصراحة ورؤية واقعية ، تجد أن الغالبية من مفكرينا ومبدعينا ، ما إن يرتقي الواحد منهم قمة نجاح ما ، حتى يستكين ويغفل مطمئنا الى هذا النجاح ، ظانا أنه قد وصل الى الخلود ، وأنه اضاف الى الثقافة العربية ما لم يسبقه اليه أحد ، فيروح يتعاطى الثقافة بسطحية الكسول الذي ينام على أمجاد أجداده ، ومن هنا كانت برايي ازمة الثقافة العربية المعاصرة في حقيقتها ازمة كسل وسلبية ، وما ينطبق على الثقافة العربية المعاصرة بشكل عام ، ينطبق بشكل اخص على ميدان الفنون التشكيلية ، وهنا سأدخل بشيء من التفصيل ، يكشف بعضهم أن لديه الموهبة ليعمل في حقل الفن التشكيلي ، فيروح ينمي هذه الموهبة ، ويستمر في ذلك حتى يبدأ بالعرض في الصالات الفنية ، ويطلق التصريح تلو التصريح على فنه ، ومغزى هذا الفن ، فتنتشر صوره عبر وسائل الاعلام ، ويسمع به القاصي والداني (وهو واحد من هؤلاء القاصي والداني) فيعجب بذاته ، ويركبه الغرور ، فيتراءى له انه اصبح لعظمته الفنية كوخ أو بيكاسو ، وبامكانه تبديل وجه الثقافة الفنية ، وهنا يصاب بـ (الحالة) !! ومسكينة هذه الحالة كم تحدث‌عنها فنانونا ، وكم ادخلوا من مضامين وتعقيدات للتعبير عنها ، ولكن دونما عمل أو انتاج ، هذه الحالة التي يصل اليها أكثر المتعاطين للعمل الفني في بلادنا ، رابضين فوق المجد المزيف ، منمطفين على أنفسهم ، يتعاطون مجدهم المخدر ، ويحلمون ، وتقع ثقافتنا فريسة ازمة هذا الانسان المخدر ،

ودليلي على ذلك ، أن الاسماء التي استطاعت أن تكسر حدود الوطن الصغير الى الوطن الكبير ــ أعني الوطن العربي ككل ــ ومن ثم الانطلاقة عبر حدود هذا الوطن الكبير الى العالم ، هي نادرة جدا ، بل تكاد تكون معدومة .

* * *

□ كما قلت لك لا اعترف بأزمة ثقافة ، بل الأزمة هي أزمة الانسان ، ومعالجتها للتخلص منها ، يرتكز بالدرجة الاولى على تكوين الانسان العربي ، وأنا في هذا الحقل لست صاحب اختصاص ، وانني أترك معالجة تكوين الانسان لهؤلاء المختصين ، وأقول لهم : كوّنوا لنا الانسان العربي الصحيح ، واشحنوه بالصبر ، فتكون لنا ثقافة عربية معاصرة منتجة ومبدعة .

فوزي عطوي
شاعر

□ ليس من قبيل التناقض أو التلاعب على الألفاظ القول انني اعتقد ولا أعتقد في آن واحد ، بوجود أزمة في الثقافة العربية المعاصرة ، فهذا الموضوع قد عولج في مناسبات شتى ، وعلى مراحل متفاوتة ، لكنني أحسب أن التشخيص كان تشخيصا خاطئا ، لذلك جاء العلاج في معظم الاحوال ، مبتورا أو ناقصا ، ان لم أقل خاطئا ومسيئا للثقافة العربية المعاصرة .

ومن أجل ايضاح موقفي الذي احببت منذ البداية أن انفي عنه شبهة التناقض او التلاعب بالالفاظ ، ابدأ بتشخيص الحالة التي آلت اليها الثقافة عندنا ، فأستشف بكل بساطة ، ومن غير تعقيد او مداورة ، ان

كانت الثقافة العربية المعاصرة ، تعيش حالة صحية ، او حالة مرضية تستدعي علاجا ، أو خروجا من الازمة في حالة وجودها .

الثقافة العربية تشهد اليوم ، وعلى امتداد الوطن العربي ، نهضة عظمية ، اعتبرها امتداد طبيعيا ومنطقيا لما اتفقنا على تسميته بعصر النهضة الحديثة :

ا — على صعيد التأليف ، لا اظن أن مرحلة من مراحل تاريخنا الثقافي شهدت هذه الغزارة في الانتاج الفكري ، وهي غزارة مشوبة احيانا بشوائب السرعة ، وقلة الاتئاد في اطلاق الاحكام ، او في سبر اغوار الاثر الادبي ، وبالتالي تحليل ما ينطوي عليه من أفكار ومواقف ، ولكنها لاتنفي بحال من الاحوال ، بروز عطاءات فكرية خيرة ، تمثل بجديتها وعمقها وشموليتها اضافة حقيقية الى الحركة الثقافية العربية .

— وعلى صعيد الصحافة ، فرضت الثقافة نفسها ، لا فرضا فضوليا هامشيا ، بل أصبحت في الصحافة اليومية جزءا هاما يستقطب جماعات المثقفين والمتخصصين الذين لا يجهلون قوة السلاح الاعلامي ، بل انتشار المنابر الاعلامية ، بحيث تتحقق عملية الارسال والايصال والتلقي ، ما بين الكاتب والناشر والقاريء ، وعلى اوسع مدى ممكن ، وبذلك تبلغ الثقافة هدفها ، فتصل الى اوسع قطاع من الناس المثقفين منهم والناهلين من مناهل الثقافة على حد سواء .

واذا كان هذا هو شأن الصحافة اليومية في علاقتها مع الثقافة ، فان الصحافة الثقافية الصرف المتمثلة في الدوريات الاسبوعية والشهرية والفصلية ، أصبحت اليوم واسعة الانتشار ، بل غدت ظاهرة تفرض نفسها على كل بحث جاد ، لا سيما ان الكثير من هذه المجلات الثقافية قد قاد تيارات فكرية ، ربما تفاوتت منها المواقف تأييدا او تنديدا ، ولكنها تيارات قد اثبتت وجودها واستقطابها لعدد كبير من المثقفين والمفكرين الذين لا ينكر دورهم في الحركة الثقافية المعاصرة .

٣ ــ على صعيد الدراسات الاجتماعية ، واعني بها الاطروحات الاكاديمية في مراحل الدراسات العليا ، قائمة على قدم وساق ، ومعظمها يتميز بالعمل الدؤوب ، وبالبحث المتعمق ، فضلا عما يبرهن عليه من نظريات ، او مايكتشفه من جوانب كانت خافية على الاخرين ، لكن هذه الدراسات ماتزال مبعثرة ، وحبذا لو ان جامعة الدول العربية مثلا ، او هيئة اليونسكو ، او سواهما من المنظمات السياسية والثقافية ، تعمد الى استحداث مركز خاص لتجميع الرسائل الجامعية وتوثيقها ، وتأمين طبعها وتبادلها ، او توزيعها على جميع المراكز الجامعية والعلمية المهتمة بالشأن الثقافي ، واذن ، لأمكن تحقيق هدف ثقافي عظيم الطموح ، ولما بقي الكثير من تلك الرسائل الجامعية دفين المكاتب والمكتبات ، بسبب عدم وجود الناشر المستعد لطبعها ونشرها ، ولعدم توفر الامكانات المالية لدى مؤلفيها ، لطبعها ونشرها ، ولعدم توفر الامكانات المالية لدى مؤلفيها لطبعها على حسابهم ، وحتى لو طبعوها ، لما استطاعوا الثبات في سوق المنافسة غير المتكافئة مع الناشرين .

٤ ــ وعلى صعيد الاندية الثقافية ، فهي وان لم تستطع مع الاسف الشديد ، ان تجاري نشاطات اندية كرة القدم ، وكرة المضرب ، والكرة الطائرة ، والجمباز ، والقفز العالي ورمي الكرة ، وحتى صيد الحمام والصقور ، وسباق الخيل وما اليها ، فان المواسم الثقافية التي تنظمها كل عام ، والندوات والامسيات الشعرية والمحاضرات الادبية والعلمية التي تشتمل عليها تلك المواسم ، فضلا عن الاستجابة الطيبة التي يبديها المحاضرون لرغبات المشرفين على الاندية الثقافية ، من دون اشتراط اي مقابل مادي ، عن القاء محاضراتهم ، كل ذلك ، مضافا بالطبع الى النشاطات الثقافية الاخرى في التلفزيون والاذاعة ، وحتى عبر تسجيل الاسطوانات ، الكاسيت ، دليل على أن الثقافة العربية المعاصرة لاتعاني اختناقا ، ولا تثير في النفس خوفا على مستقبلها ومصيرها .

٥ ــ وعلى صعيد اتحادات الكتاب والمؤلفين ، او روابط الادباء وجمعياتهم واسرهم ، في سائر ارجاء الوطن العربي ، فان عددها المتزايد

تزايدا كبيرا وملحوظا ، يتفوق بكثير على عدد الاحزاب السياسية والجمعيات الخيرية والانسانية ، يؤكد ان الثقافة والمثقفين بخير ، وان كنا لانستطيع ان نتجاهل حقيقة ملموسة في بعض تلك الاتحادات والجمعيات ، اذ غالبا ماينتظم في عضويتها مثقفون مزدوجو الاهداف الثقافية والسياسية ، ولكن الاولوية عندهم هي للاهداف السياسية ، الامر الذي يفسد على الثقافة مسيرتها او فعاليتها .

وقد بلغ الاهتمام بالنشاط الثقافي في المجموعي ، لا الفردي وحسب، حدا كبيرا ، كما هو حاصل في لبنان ومصر مثلا ، حيث تقوم مجالس ثقافية اقليمية ، وقد يتفرع النشاط الثقافي الى حدود اكثر ضيقا عن طريق انتشار الاندية والجمعيات والمكتبات ، حتى في المدن الصغيرة والقرى ، وهي ظاهرة رائعة في البلاد العربية ، لانها تشكل الوسيلة العقلانية السليمة لازجاء الفراغ على نحو مثمر ، بدلا من تقطيع معظم مراحل العمر في اجواء المقاهي والملاهي واندية الخلاعة والمقامرة .

٦ ــ وعلى صعيد النشر ، فان ما تم منه في مؤسسات خاصة او رسمية ، فان الانتشار الكبير الذي نشهده لحركة ايصال الكتاب الى القراء ، حيثما كانوا ، وبالتعاون مع شركات التوزيع ووكالاتها الناشطة، يلفت الانتباه ، لكنه يبرر تيارا جديدا وبالغ الاهمية ، قد يمر به الناس من غير اكتراث ، وهو تيار العودة الى الينابيع ، ووصل الحاضر بالجذور التراثية ، من اجل تنشئة جيل جديد مثقف يدرك ان مستقبله الثقافي يدعوه الى الحداثة بكل ما تطمح اليه من ابعاد ، لكنه يدعوه قبل ذلك الى الاصالة بكل ماتتصل به من اعماق ، وهذا هو عندي التفسير العلمي والصحيح للاقبال المنقطع النظير على اعادة طبع الكتب التراثية ، وكتب الاطفال والفتيان في هذا الوقت بالذات .

هذه الظواهرهي قوام الوجهالمشرق للثقافة العربيةالمعاصرة ،وهيالتي تدعوني الى القول : انني لا اعتقد بوجود ازمة ثقافية عربية معاصرة ، بل اجزم بأن الثقافة العربية تعيش في ايامنا عصرها الذهبي الحقيقي الذي تجاوز من الوجهة التاريخية عصر بغداد والمأمون وبيت الحكمة .

لكن وجه الثقافةالعربية المعاصرة يعاني تحت وطأة الظروف الاقتصادية والسياسية الراهنة ، شحوبا اذا لم نسارع الى تداركه تحول الى هزل ، فالى مرض حقيقي لا ينحسر عند حدود ما تسميه « أزمة » ، بل يمتد الى ما وراء هذه الحدود ليشكل معاناة وجودية ومصيرية حقيقية ليس من المستبعد ابدا أن ينبعث معها عصر انحطاط فكري جديد ، وهنا مكمن الداء ، وهنا مكمن الخطر .

قلت أن المعاناة الثقافية تجري الان تحت وطأة الظروف الاقتصادية والسياسية ، ولم اشر الى ظروف أخرى ، اجتماعية ، سواء سارت في طريق الزوال ، أو عادت تذر قرنها ، في ظل تبدل الكثير من المفاهيم والمقاييس والقيم ، لم تعد دافعا الى مزيد من الثقافة ، أو حائلا دون التحصيل الثقافي ، فهذا شأن حضاري قيلت فيه الكلمة الفصل من زمان بعيد :

١ ـ ان الظروف الاقتصادية تكبح جماح الثقافة الحقيقية الاصيلة ، ان التعامل بين المؤلف والناشر يجري في سياق غير متكافيء بسبب التفاوت بين القدرات المالية التي يمتلكها الناشر ، وهو حتما تاجر يمتلك مؤسسة مسجلة في السجل التجاري ، ويسعى الى الربح المادي بصورة اساسية . ولسنا بمنكرين على الناشر حقه في ممارسة حقه التجاري المشروع ، لان مغامرته في توظيف رأسماله ، تستوجب النظر الى الربح ، والعمل على تفادي او تدارك الخسارة ، لكن الذي ننكره على الناشر هو استغلاله لموقفه المادي القوي ، وللشبكة الاحتكارية المنسقة التي تجمعه مع الناشرين الاخرين ، ازاء الباحث والشاعر والاستاذ الجامعي والناقد ، ومن اليهم ، ممن لاتتجاوز ملكية الكثيرين منهم اوراقهم واقلامهم وافكارهم ، وذلك عن طريق التلاعب بعدد النسخ المطبوعة من كل طبعة ، (هذا اذا لم يزور الكتاب على يد الناشر الاصلي ، او على يد ناشر دخيل) وعن طريق تقدير الاتعاب بنسبة تبخس المؤلف اتعابه الى اقص حد ، وبالتالي تأكل حقوقه ، ولا اقول تأكله وكتابه معا ، ثم عن طريق المماطلة في دفع

الاتعاب . . . ولعل من أوضح ظواهر الاختلال في العلاقة بين الناشر والمؤلف في معظم اقطارنا العربية ، ان للناشرين نقابات تدافع عن حقوقهم ، بينما لا نقابة تدافع عن المؤلفين الذين يبقى الحديث عن حقوقهم الادبية حديث خرافة واضغاث احلام ، رغم كل المواثيق والاعلانات العالمية ، بل رغم بعض النصوص القانونية التي تبقى معطلة الاحكام مع الاسف الشديد .

٢ ــ وفي مجال المعاناة الاقتصادية ايضا ، نذكر أن المطبوعة الدورية تتغذى بصورة رئيسية من الاعلانات والاشتراكات ، لذلك كانت المطبوعة الثقافية أقل قدرة مادية من المطبوعة السياسية التي تستقطب الاعلانات والاشتراكات والمعونات المنظورة وغير المنظورة ، لاسباب يعرفها اصحابها قبل غيرهم ، وبالتالي فان المكافآت المادية التي تدفعها بعض المجلات الثقافية الخاصة ، تصبح مكافآت رمزية ، الامر الذي لا تضطر اليه المجلات السياسية وهي تنفق عن سعة ، فتستقطب بالاضافة الى الاعلانات والاشتراكات والمعونات ، اقلام الكتاب المحترفين ، والراغبين في الحصول على بدل مادي لا نتاجهم القلمي .

٣ ــ هنا تدخل الثقافة في ازمة المعاناة السياسية ، فتضطر اضطرارا للانحراف عن مسارها السليم ، مراعاة او مراءاة ، تمذهبا او تعصبا ، وانسياقا في ركاب السياسية التي يفترض أن ينظر لها ثقافيا ، لا أن ينظر الثقافة سياسيا .

فقد ادركت الحكومات خطورة الثقافة ، ووعت دور المثقفين ، فأنشأت وزارات الثقافة ، ومجالس رعاية الآداب والفنون ، والمجلات الثقافية الرسمية الناطقة باسماء الوزارات ، وبدلا من أن تستثني وزارات الثقافة العاملين في ملاكاتها من اطار الروتين الاداري ، دخلت وزارات الثقافة في لعبة الروتين ، وبدلا من ان تستقطب المثقفين المنتجين ، اصبحت تعج بحشود لا تنتهي من الموظفين لا اثر لمعظمهم في الثقافة والذين يكتفون بعد الايام وقبض الرواتب .

وغني عن البيان ، ان مثل هذا الوضع يفضي الى قيام التكتلات غير الثقافية ، في اطار التنظيم الثقافي .

هذه هي الصورة القائمة الشاحبة الحزينة التي ترتسم للثقافة العربية المعاصرة في أذهان العاملين في ميادينها ، او المتابعين لحركاتها الزئبقية الرجراجة ، وهي الصورة نفسها التي حملتني منذ البداية على القول ــ استدراكا ــ انني معتقد بوجود ازمة تعاني منها الثقافة العربية المعاصرة .

■ ما الحل ما المخرج ؟ اذن من هذه الازمة الموجودة وغير الموجودة في ان واحد ؟ يخيل الي ، للوهلة الاولى ، وبمنطق لا يخلو كثيرا من البساطة الساذجة ، أن الحل ، أو المخرج هو في رفع وطأة الظروف الاقتصادية والسياسية عن كاهل الثقافة العربية المعاصرة .

*

وهذا صحيح الى حد كبير ، لكن هذا لا يعني ، بالضبط وبالدقة ، العودة الى فكرة الفن للفن ، وانما هو على العكس ، نداء صادق الى تكريس دور الفن في خدمة الحضارة .

لقد دق التفاوت الاقتصادي من جهة ، والتناحر السياسي من جهة أخرى ، معالم حضارات كثيرة ، لانهما ، مما ، لم يوسعا في المجال امام التوازن المنشود على يد المداخلة الثقافية والحضارية التي تضيق الشقة بين التفاوت الاقتصادي ، تنظيرا وتطبيقا ، وتخفف من غلواء التناحر السياسي تنظيرا وتطبيقا أيضا .

الثقافة العربية المعاصرة في أزمة ؟ نعم ولكن من غير ان يصبغ التشاؤم وجه الثقافة بأجنحة الغربان الناعبة ، ولكن من غير أن يتمادى بنا التفاؤل الى حد تجاهل الواقع وملاحقة السراب .

كلثوم عرابي
شاعرة

□ اذا كان ثمة من وجود أزمة ثقافية ، فهنالك أسبابها ، انسان عربي مهزوم ، مأزوم أيضا ، يلتهم الكتب على أنها خبزه اليومي ليهضمها: وينتشي ويفرح بالقراءة ، ثم يعود قرير العين ليردد ما قراه كالببغاء .

الثقافة ليست هكذا تؤخذ .. الثقافة يعمل بها .. وهي علاقة متبادلة بين الكاتب والقارىء ، بها يطلب الكاتب قارئا يريد منه أن ينفعل ويفعل ، ويتعلم ويعلم . الازمة كما اعتقد .. ليست بوجود المثقف العربي ، بل في عدم انفتاحه على الكاتب الواعي ، فالقراء في أكثرهم يتطلعون اليه كنصب تذكاري للاعجاب به ، أو كصنم يتأمل أو تناقش اجزاؤه ، او كمادة للافادة والاستهلاك بعيدا عن الافادة الحقيقية لمضمون حقيقة الثقافة ذاتها كي تكون فاعلا في توجيه اجتماعي ملتزم .

ولهذا فالثقافة خاسرة في اكثرها ، لان القراء لا يلتزمون بمضمونها .

* * *

□ الخروج من الازمة .. كيف ؟

الخروج ليس سهلا في البداية كما يعتقد البعض .. انه موقف المثقفين الكتاب ، وانا ادعو الى الثقافة الاعلامية ، وليس الى حزبية الثقافة ، هناك كتب جيدة كثيرة على صعيد الادب والمسرح والنقد والابحاث ، وهناك ايضا افلام جيدة ومؤثرة . .

المهم كيفية عرض الكتب ـ كيفية عرض مسرحيات شكسبير باسلوب تعليمي ، وكيفية التحدث عن طه حسين ، وعرض أفكار رئيف خوري بشكل تعليمي .

ادعو الى منهجة الثقافة والعودة بها الى الينابيع ، وطرحها طرحا دقيقا ، بعيدا عن التدخل في اعمال الكاتب سوى شرحها شرحا موضوعيا جيدا .

ان الناس ، كما قلت ، يقراون كتبا جيدة ، ويشاهدون افلاما رائعة، ويحضرون مسرحيات ، ويظل بعضهم هو هو .. لا يتغيرون ، وقد يجنحون الى الاسوأ احيانا ، كما هو حاصل اليوم ، لذلك أدعو الى ايقاف هذا السيل من الكتب الذي اضاع الكاتب والقارىء معا ، وان يصار الى تأليف لجنة من المفكرين الاحرار لاختيار اسلوب جديد في كيفية تسويق الكتاب الجيد المفيد .

عوض شعبان

روائي

□ قبل الاجابة على هذا السؤال يستحسن تحديد ماهية الثقافة العربية المعاصرة ، فالثقافة اولا هي حصيلة اللغة والفكر ، والناتج عن تزاوجهما هو العمل الثقافي ، سواء كان عملا ابداعيا ، شعرا او نثرا أو بحثا ونقدا ، وكافة مناحي التعبير الاخرى ، اذن ، فالثقافة هي العملية الحضارية التي ينتجها تفاعل اللغة والفكر .

والمعاصرة يقصد بها تاريخية الثقافة ، أي مدى ارتباط هذه الثقافة بالزمن الذي تنتمي اليه ، وبما أن المراد هو العصر الذي نعيشه الآن ، فأعتقد ان الحداثة هي التعبير الاصح عن هذه المعاصرة .. ولكن ماهي الحداثة ؟!

هل هي مجموعة القيم الجمالية الحديثة التي يرفدها الفكر واللغة ، اي المضمون والشكل في العملية الحضارية التي تنتجها الثقافة ، فتعالج

المسائل الاجتماعية واشكالات المواطن المعاصر ، باسلوب التحليل النفسي المرتكز أساسا الى علاقة الفرد بالمجتمع ، وتوق الفرد من خلال المجتمع الى الارتقاء ، أم هي « الموضة » التي برزت في هذا العصر الرديء تحت اشكال الصرعات الادبية التي لا هدف لها الا ابراز بعض الاسماء ، فوق طوف من ركام الهذيان في الشعر والنثر ، والتي يسميها صديقنا الدكتور ميشال عاصي هلوسة التداعيات غير المنضبطة .

وهذا يقودنا الى طرح التساؤل التالي : هل تعاني اللغة والفكر ، أي الثقافة عندنا ازمة في التعبير لنبدي خشيتنا من وجود أزمة في الثقافة المعاصرة ؟

والجواب على هذا التساؤل كامن في الاعمال الجيدة التي تصدر في الوطن العربي ، وفيها الكثير من روائع النثر والشعر والنقد والبحث .. وهل من الضروري هنا ذكر اسماء الكتاب الجيدين الذين يضاهون الكتاب العالميين ، وحتى بعض الذين احرزوا جوائز نوبل ؟ اذن ، فلا أزمة في تقديري في الثقافة العربية المعاصرة ، انما هناك أزمة مثقفين فقط ، أي مثقفين مأزومين بهلوساتهم السوداء ، من الذين يقرأون كتابا بلغة أجنبية فيحاولون نقله الى العربية سارقين – ليس المضمون وحسب – انما الشكل أيضا ، فيجيء نقلهم هذا هجينا يخاطب القارىء العربي ، القارىء المتذوق لفصاحة القرآن والملقات السبع وشعر المتنبي ، بغموض أبسن ورموزيونسكو ، واستطيع ان اذكر على الاقل خمسين عنوان كتاب في الشعر والنثر والنقد ، ولا يفقه القارىء مضمونها ، ولا يستسيغ الصيغة التي كتبت بها هذه الكتب .

* * *

□ أما كيف يمكن الخروج من هذه الازمة ، فبالاقلاع عن ثقافة التشويق والاستعراض والعودة الى الاصالة ... والاصالة ليست ردة رجعية بحيث نستلهم محمود تيمور في اعماله القصصية ذات الاسلوب

المقفر في لغته ، والغالب عليه السجع ، ولا في رفض كل شعر لا يرتكز على قواعد علم العروض ـ كما يدعو عمر ابو ريشة وبدوي الجبل ، انما الاصالة هي الجودة في التعبير والاناقة في الادوات ، وارتباط الثقافة ككل بالمجتمع المعيوش بحيث يعبر الادب عن متطلبات الانسان العربي في كافة اقطاره عن الحرمان الذي يعيشه مجتمعه ، فلا يعود الادب ترفا، أو مجرد وسيلة للتسلية ولقتل الوقت .. بل رسالة يتوسل الاديب المثقف من خلالها تغيير هذا المجتمع ويقربه من امكانات العصر الذي يعيشه ، والمجتمع العربي الذي يعاني التمزق السياسي والايديولوجي والقومي والحرمان من أكثر الاشياء التصاقا بحياة الانسان ، كالحرية والكرامة والخبز والتعليم والتطبيب ، هذا المجتمع المقهور ليس بحاجة الى ثقافة للتسلية أو التهريج ، انما هو بحاجة الى ثقافة اصيلة نابعة من ضمائر الجماهير التائقة الى الحياة المثلى الذي يتفاعل فيها التوق الى الارتقاء ، مع الاصرار على الامان الكامل للفرد والمجتمع .

عبد الامير عبد الله

ناقد

□ لابد من الاشارة اولا،انه لا يجوز التفريق بين السياسي والاجتماعي والثقافي ، خاصة بين السياسي والثقافي ، صحيح ان الفكر الماركسي المثالي يسعى الى فصل الفن عن السلطة (السياسية) ، لكن ذلك لم يحصل ولو مرّة واحدة في التاريخ العربي ، اذ أن المثقفين مثقفو سلطة ، وفي لبنان هم مثقفو سلطات على قياس هذه السلطات بيسارها ويمينها ، فلو أخذت جريدة أو مجلة يمينية ، لوجدت أن المقال الثقافي هو تابع وتتمة للمقال السياسي ، هذا من جهة الانتماء الطوعي من جانب المثقف الى الجهة الايديولوجية التي ينتمي اليها ، والامر نفسه بالنسبة للصحيفة أو المجلة اليسارية ، وان شذت احدى هذه المجلات أو الصحف عن القاعدة ، وهذا نادرا ما يحصل ، فانها لا تلغي القاعدة العامة ، هذا من

جهة العمل ضمن المؤسسات الثقافية ، اما عن طبيعة المثقفين العاملين في هذه المؤسسات ، فالامر أكثر سوءا . من المثقفين من يكتب من اقصى اليسار الى اقصى اليمين وما بينهما دون أن يرف له جفن ، وان أردت أمثلة لهذا الملف ، فانني احيلك الى الصحافة ، فمنهم من يغير عقله قبل أن يجف حبره على ورق صحيفة بيضاء ليقول رأيا مناقضا على أوراق صحيفة سوداء ، وما همه سوى تسويد وجه الورق الابيض ، واملاء جوفه ، فهو جائع على ما أظن ، هذا عن الشلليه ، فالمثقفون يتأففون مثلا من الحرب ، وهم يستفيدون من هذه الحرب !! وهؤلاء هم الذين دخلوا في دوائر شلل تنشد بالنهاية الى ذوي السلطات الاكبر ، اي السلطات على اختلاف انواعها ، والتي وجدت لقمع الثقافة الفعلية!! هذا هو واقع ثقافتنا التي نعيش أزمتها الحقيقية فعلا . الخروج من هذه الازمة بالنسبة للمثقف الراهن الذي تحدثت عنه في البداية ، هو خروج هذا المثقف من فردوسه أو لقمة عيشه ، من اجل ذلك لا أرى أن قرارا سياسيا أو اداريا ، او أجتهادا فرديا ، سيكون مطهّرا لهذا الرجس المستشري بين ظهرانينا نحن المثقفين ، وأنت تعرف أن العلاقات الخاصة والفردية الخارجية عن أيّ منحى ثقافي ، هي التي تنتج الثقافة الراهنة . أصرّح بما يلي :

ـ لا يوجد شعر الا في الحالات النادرة جدا ..

ـ لا توجد رواية ..

ـ لا يوجد مسرح ..

ـ لا توجد اغنية ..

يوجد سماسرة وشلل وعلاقات شخصية ، والفن والثقافة والحرية ذائبة وغائبة ، وستبقى كذلك حتى يتغير الطاقم الثقافي التبعي الذي يسعى وراء الرغيف والكاس والمراة دون أن يكون اختيار .

* * *

□ وتسألني : ما الحلّ ؟

الحل ايضا أن تسقط جميع الواجهات الثقافية والاجتماعية ، فلعل هذا الخراب ينتج ثقافة بديلة .

هذه اجابات خجولة ، فانا لا امتلك الجراة اكثر من هذا .